ماذا ينبغي أن يكون موقف العالم العربي

إزاء الفلسفة العربية والفلسفة الغربية

الدكتور جميل صليبا

---

١ — لمحة تاريخية

لما اتسع سلطان العرب في عهد العباسيين ، وانتشرت في الدولة الإسلامية ديانات ومذاهب مختلفة تحاول أن تبث دعوتها ، اضطر الخلفاء إلى التنكيل بالملحدين ، وحث العلماء على وضع الكتب في الرد على المجوس والدهرية . وكان من أثر هذه السياسة أن تشوق العلماء إلى الإطلاع على العلوم الفلسفية التي كانت نافقة الأسواق في بلاد الروم ، فبدأوا بترجمة كتب الحكمة في عهد أبي جعفر المنصور ، ثم جاء المأمون بعد ذلك ، وكانت له في هذه العلوم رغبة شديدة ، فأوفد الرسل إلى بلاد الروم لاستخراج علوم اليونانيين ، ثم حمل المترجمين على نقلها إلى اللغة العربية ، فنقلوا كتب (أفلاطون) و (أرسطو) و (تيوفرسطس) و (جالينوس) و (فرفوريوس) وشروح الاسكندر الأفروديسي ، وبعض كتب (أمونيوس) و (ثامسطيوس) و (أفلوطين) وغيرها ، كما ترجموا أيضاً بعض الكتب عن السريانية والفارسية والهندية . ويكفي أن ينظر المرء في فهارس الكتب القديمة كفهرست ابن النديم أو كشف الظنون للحاج خليفة ليقف على حقيقة هذه الحركة العلمية الواسعة النطاق . فقد بدأت الترجمة بكتاب في الكيمياء أمر بنقله إلى العربية خالد بن يزيد بن معاوية ، وبلغت في عهد المأمون درجة ليس فوقها زيادة لمستزيد . ولم يمض على نقل العلوم الفلسفية إلى اللغة العربية إلا القليل حتى عكف العرب على شرح معانيها والنسج على منوالها ، فابدعوا لأنفسهم فلسفة خاصة مقيدة بعقائدهم الدينية وحاجاتهم الاجتماعية والسياسية ، ثم نقلت هذه الفلسفة إلى الغرب وسيطرت على التفكير الأوروبي حتى نهاية القرن الخامس عشر . وهكذا مرّ العرب في تاريخ حضارتهم الفكرية بدورين هما دور النقل والإتباع ، ودور الإنتاج والإبداع .

ولم يكن موقف العرب إزاء الفلسفة اليونانية موقف القابل الذي ينقل ما يصل إليه من

العلوم دون إعمال الروية فيه ، بل كان موقفهم إزاءها موقف الناقد الذى ينتق من العلوم ما يفهمه ويحتاج إليه فى تفكيره . لذلك نقلوا عن اليونانيين كتب الهندسة والطب والمنطق والطبيعيات والفلسفة وأعرضوا عن أدب اليونان وأشعارهم وأساطيرهم .

وليس أدل على اختيارهم هـذا من موقفهم إزاء فلسفة أفلاطون وأرسطو . فقد كان نصيب المعلم الأول من النقل أعظم من حظ أفلاطون ، لا لأن كتبه كانت أعظم انتشاراً وأقرب متناولاً فحسب ، بل لأن العرب وجدوا فيها ما يوافق ميولهم ونزعاتهم من الفنون العقلية والقواعد المنطقية . فأخذوا بها أولا كما هى ، ثم زادوا عليها وعملوا على التوفيق بينها وبين العقائد الدينية ، ونفقت العلوم الفلسفية فى العالم العربى على عهد الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد . إلا أن الدولة العربية لما غلبت على أمرها وتسلط عليها الأتراك والبرابرة ركدت بها ريح العمران ، وانضمحلت منها حرية الفكر ، واتهم الفلاسفة فى صدق إيمانهم وصحة عقيدتهم وحاربتهم الخاصة والعامة فالغزالى هدم فلسفة ابن سينا واتهم صاحبها بالكفر والزندقة ، وابن رشد نكب فى المغرب وأحرقت كتبه ، حتى قال الحاج أبو الحسين بن جبير فيه وفى نكبته .

نفذ القضاء بأخذ كل مموه متفلسف فى دينه متزندق
بالمنطق اشتغلوا فقيل حقيقة إن البلاء موكل بالمنطق

ولا يزال الناس فى أيامنا هـذه يطلقون كلمة « فلسفة » على الزندقة والتمويه ، أو على الثرثرة والكلام الفارغ . وربما كان فى قول أبى نواس منذ أوائل العصر العباسى :

فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

إشارة إلى إبطال الفلسفة واحتقار منتحلها .

نعم إن الفلسفة العربية لم تكن مقصورة على الفلاسفة المشائين ، وإن هنالك طائفة من المتكلمين كالمعتزلة وغيرهم ضربوا فى الفلسفة بسهم وافر . ولكن هذه الفرق لم تثبت قواعد الإنتاج الفكرى الحر ، ولا وطدت أساسه وأحكمت عقدته إلا برهة وجيزة من الزمان ، فاتبعت طريق الفلسفة المشائية فى النمو والاضمحلال . فحينما كانت بضاعة الفلسفة موفورة ، كان علم الكلام نابت الوطائد مشيد الأركان ، ولكن حينما وهت أركان الفلسفة وتضعضعت دعائمها انقلبت مباحث علم الكلام إلى اتباع آلى واصطلاحات مدرسية جامدة . ويكفى أن تنظر فى كتاب المواقف لعضد الدين الإيجى وتقارن بينه وبين كتب الغزالى وابن سينا للحكم

على تطور الفلسفة العربية . ففى كتاب المواقف علم مقيد واصطلاحات فنية جامدة وقواعد وأحكام ثابتة تريد أن تظهر بمظهر العلم المطلق ، وتتصف بصفة الحقائق الخالدة . وفى كتب الغزالى إلى جانب الضبط والإحكام لطف وروعة يفوح منهما عبير الحرية وشذا العاطفة والإبداع . ومن أراد الاطلاع على الفلسفة العربية الحقيقية ، فليطلبها من كتب ابن سينا والغزالى وابن رشد لا من كتاب المواقف .

إن هذه اللمحة التاريخية السريعة توضح لنا الطريق الذى يجب علينا سلوكه فى تحديد موقفنا من الفلسفة العربية والفلسفة الغربية .

٢ — موقفنا إزاء الفلسفة العربية

ماذا ينبغى أن يكون موقفنا إزاء الفلسفة العربية القديمة . هل يجب علينا الأخذ بها كما هى ، أم ينبغى لنا الإعراض عنها والاتجاه نحو الفلسفة الغربية الحديثة ؟

لا شك أن الإعراض عن الفلسفة العربية ليس فى مقدورنا . لأن هذه الفلسفة قد داخلت نفوسنا وصبغت أفكارنا وعواطفنا . وهى فلسفة عقلية — توحيدية — روحانية معاً . ومن مبادئها الأساسية أن الحقيقة الدينية لا تختلف عن الحقيقة الفلسفية ، وأن الحكمة هى صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة ، ومن نظر فى آراء فلاسفة العرب من الفارابى إلى ابن سينا ومن ابن سينا إلى ابن رشد وجد أن التوفيق بين الحكمة والشريعة كان همهم الأول ، حتى أن المتأخرين من علمائنا كالأستاذ الإمام محمد عبده لم يخرجوا عن هذا المبدأ فى تفسير آيات القرآن الكريم . وجميع ما جاء فى الشريعة متفق عندهم مع ما يكشف عنه النظر العقلى : المنقول المطابق للمعقول ، ولا فرق بين حقيقة وأخرى .

ولا شك أيضاً فى أن الأخذ بالفلسفة العربية كما هى لا يتفق مع ما بلغه العلم الحديث من الرقى والكمال . ففى الفلسفة العربية أمور كثيرة لا تصلح لتوجيه سلوكنا فى المجتمع الحديث : انظر إلى نظرية الفيض التى تخيلها فلاسفة العرب للتوفيق بين الدين والفلسفة . إن هذه النظرية مستندة إلى اعتقادهم أن الأرض هى مركز العالم ، وأن الأفلاك طبقات مختلفة تحيط بالأرض كما تحيط القشرة بالبيضة . ثم انظر إلى نظرية النفس أو نظرية العقل أو نظرية الطبيعة ، إنها مبنية على آراء لا يؤيدها العلم الحديث . إذن لا ينبغى لنا الأخذ بالفلسفة العربية كما هى ، وإنما يجب علينا أن نتناولها بالبحث كما ندرس سائر الاتجاهات الفكرية القديمة

لا للاعتماد عليها فى توجيه سلوكنا ولكن لاستكمال ثقافتنا الفكرية واطلاعنا على ماضينا وتعرفنا أنفسنا .

فإذا شئنا أن تكون لنا فلسفة عربية حديثة تأتلف وميولنا وحاجاتنا الحاضرة ، وجب علينا أولا دراسة الفلسفة العربية القديمة التى فقدت آثارها دراسة علمية توطد الارتباط بين اتجاهاتنا الفكرية الحديثة وعبقريتنا القديمة . إن الحاضر كما قال (لينين) مثقل بالماضى وممتلىء من المستقبل . والأمم التى ليس لها ماض ليس لها شخصية كاملة ، ومن أعرض عن دراسة الماضى حرم الاطلاع على أجل آثار الفكر التى خلفها الأجداد . على أن هذا الالتفات إلى الماضي يجب أن يكون باعثاً على الحركة دون الوقوف ، وعلى التقدم دون الركود . إن كثيرين من الشيوخ الذين يعيشون فى الماضى يعجزون عن تفهم الحاضر ومجاراة تطوره ، حتى أن إعجابهم بماضيهم ليلهيهم عن كل مكرمة ويحول بينهم وبين فتح طريق المستقبل . لذلك كله ينبغى أن يكون موقفنا إزاء الفلسفة العربية موقفاً علمياً محضاً . ونعنى بهذا الموقف العلمى أن تاريخ الأفكار يجب أن يطلب لذاته لا لعبره وكنوزه . ومتى طلب التاريخ لذاته انكشف هو نفسه عن كثير من العناصر التى توحى إلينا بالأفكار الجديدة ، وتكشف لنا عن كثير من الحلول التى نروم الوصول إليها .

هناك أمران يحددان لنا الموقف العلمى ، الأول : هو التعريف بالفلسفة العربية ، والثانى : هو نقدها وتحليلها .

١ — فالعرب لا يزالون حتى الآن جاهلين بكثير من مسائل الفلسفة العربية . وربما كان بعض المستشرقين أحسن إحاطة بهذه المسائل من بعض علمائنا المعاصرين . إن فلسفة الكندى والفارابى وابن سينا والغزالى وابن رشد لا تزال محاطة بكثير من الغموض ، كما أن فلسفة علماء الكلام من المعتزلة وغيرهم لا تزال مستورة عنا بحجاب كثيف ، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن كثيراً من الكتب الفلسفية القديمة لم تصل إلينا حتى أصبحنا لا نعرف منها إلا أسماءها ، كما أن كثيراً من المخطوطات لا تزال محفوظة فى خزائن الكتب الخاصة لم يطلع عليها إلا القليل من الناس . وليس من مصلحتنا الفكرية أن تبقى هذه الكتب مخزونة فى الصناديق فى وقت نحن أحوج الأمم فيه إلى التعريف بماضينا . فينبغى لنا إذن إحصاء المخطوطات الفلسفية العربية الموجودة فى بلدان الشرق والغرب ، والعمل على تحقيقها ونشرها ، ثم إعادة طبع الكتب الفلسفية المنشورة سابقاً لاشتمالها على كثير من الأغلاط . فبعضها لم يطبع حتى الآن إلا على الحجر ، وبعضها الآخر طبع للتجارة لا للعلم والتحقيق . وبدهى أن

إحياء النصوص الفلسفية يجب أن يشمل كتب الفلسفة أولا ، ثم كتب العقائد والنصوص ثانياً ، ففى كتب العقائد كثير من الفلسفة ، كما أن فى كتب التصوف والأخلاق نزعات فلسفية أصلية لا يليق بنا إهمالها .

٢ — والأمر الثانى الذى يحدد لنا هذا الموقف العلمى هو وضع دراسات تحليلية عن فلاسفة العرب نشرح فيها فلسفتهم وننتقدها ، ثم نبين منابعها ومدى تأثيرها فى الحضارة الشرقية والحضارة الغربية . ولا نغالى إذا قلنا إن هذه الدراسات هى الوسيلة الوحيدة لتعريف العرب بحضارة العرب . وكما يتقدم التحليل على التركيب فى ارتقاء العلوم الوضعية ، فلذلك يجب أن تتقدم الدراسات التحليلية الخاصة على النظرات التركيبية العامة فى تاريخ الفكر . إن مؤرخى الأفكار الذين يبدءون بالتركيب قبل التحليل يشبهون الروائيين الذين يؤلفون الوقائع الخيالية من مواد أولية وهمية . فقد يبعدهم هذا البناء الوهمى عن معرفة الحقائق وقد يقلب التاريخ إلى أسطورة كاذبة . فإذا أردنا أن نطلع على حقيقة الفلسفة العربية وجب علينا أولا تقديم التحليل على التركيب . وفى تاريخ العلوم آيات ناطقة تدل كلها على أن العلماء لا يصلون إلى المرحلة الوضعية إلا بعد عكوفهم على تحليل العناصر وإعراضهم عن حل المسائل الكبرى حلا تركيبياً سريعاً . فالرياضى والفلكى والفيزيائى والكيميائى وعلماء الحياة والنفس والتاريخ يحددون فى مرحلة التحليل هذه دائرة بحثهم ، وينصرف كل واحد منهم إلى موضوع خاص أو إلى ناحية واحدة من موضوع خاص ، ثم إنهم إذا تم لهم هذا التحليل انتقلوا إلى مرحلة التركيب وكشفوا عن الخطوط العامة المشتملة على تعليل العناصر وتوضيحها ، لذلك كان من الصعب جداً على الباحثين فى تاريخ الفلسفة العربية وضع تاريخ جامع لتطور الفكر العربى قبل القيام بدراسة النصوص وتحليل العناصر وتحديد الاتجاهات الفكرية الخاصة ، التى تميز بها كل فيلسوف من غيره . وأنى لنا أن نضع هذا التاريخ الجامع إذا نحن لم نبدأ بتحليل العناصر ، ولم نكشف عن الاتجاهات الفكرية المختلفة ، ولم نؤلف منها منظومات عامة تقرب بين الأفكار المتشابهة وتجمعها كلها فى تيار واحد .

وقصارى القول أن موقفنا من الفلسفة العربية القديمة يجب أن يكون موقفاً علمياً محضاً غايته التعريف بها ونقدها وتحليلها ، لا الأخذ بها كما هى والنسج على منوالها ، فإن لكل زمان فلسفة موافقة لبيئته الاجتماعية وحالته العلمية وتطوره الفكرى . ومن أراد أن تكون له فى القرن العشرين فلسفة القرون الوسطى كان كمن يمشى إلى الأمام مشية القهقرى .

٣ — موقفنا إزاء الفلسفة الغربية

إن هذه الملاحظات السريعة كافية لتحديد موقفنا إزاء الفلسفة الغربية أيضاً . فكما أن تجديد الفلسفة العربية القديمة لا يغنينا عن الأخذ بأسباب الفلسفة الحديثة ، كذلك الأخذ بالفلسفة الغربية كما هي لا يهدينا سبيل الرشاد في مجتمع حائر بين روحانية العقل ومادية العلم ، فإذا شئنا أن نهتدي في ظلمات الفلسفة الحديثة وجب علينا أولا التعريف بها ، ثم نقدها وتحليلها .

١ — ينبغي لنا أولا ترجمة الكتب الأساسية من الفلسفة اليونانية القديمة كفلسفة أفلاطون وأرسطو . فإن الكتب العربية القديمة المترجمة عن اليونانية مبهمة كثيرة التعقيد ، لا يتوصل القارئ إلى ما فيها من المعاني العميقة إلا بعد قراءتها عدة مرات . فقد حكي عن الفارابي أنه قرأ كتاب النفس لأرسطو مائتي مرة ، وذكر ابن سينا عن نفسه أنه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة أربعين مرة من غير أن يفهم ما فيه . ومن نظر إلى كتاب (فاطيفورياس) الذي ترجمه حنين بن إسحق وجد فيه من الغموض وركاكة الأسلوب ما يدعوه إلى قراءته عشرات المرات . كل ذلك يهيب بنا إلى ترجمة هذه الكتب من لغتها الأصلية بأسلوب عربي واضح لا كما فعل بعض المعاصرين الذين نقلوا كتب أرسطو عن اللغة الفرنسية ، وليس في تجديد هذه الترجمة مضيعة للوقت ، إذ أن أكثرها قد فقد ، والموجود منها يكتنفه الغموض والالتباس . ومن تذكر أن التفكير الأوروبي في أواخر القرن الخامس عشر قد استند إلى الفلسفة اليونانية في نهضته الحديثة أدرك ما التعريب كتب اليونانيين من عميق الأثر في إحياء فلسفتنا العربية القديمة من جهة ، وفي تفهم الفلسفة الغربية من جهة أخرى . فالفلسفة اليونانية لا تزال حتى اليوم معجزة المعجزات ، تجد فيها أصولا لجميع المذاهب من (لينين) إلى (نيتشه) ومن (ديكارت) إلى (كانت) . ومن أراد أن يكون له في الفلسفة أقل أثر فما عليه أولا إلا أن يرتوي من معين الفلسفة اليونانية .

٢ — وينبغي لنا ثانياً أن نترجم أمهات الكتب الفلسفية من اللغات الأوروبية الحديثة ككتب (لوك) و (ديكارت) و (لينين) ، و (اسبنيوزا) ، و (هيوم) و (كانت) ، و (هيجل) ، و (شوبنهاور) ، و (سبنسر) ، و (نيتشه) ، و (برغسون) ، وغيرهم . والترجمة ضرورية لنا في أوائل الأمر أكثر من الدراسات التحليلية التي يقوم بها بعضهم ، إذ أن فائدة هذه الدراسات مقصورة على التعريف بالفلاسفة الغربيين ، وهي لا تطلعك على

أفكارهم إلا من وراء حجاب ، وإذا فهمت ما كتبه أصحابها لم تجد فى آرائهم ما يرفعك إلى فضاء الفكر . ويوحى إليك بالمعانى الجديدة والآفاق الواسعة . ومن شروط هذه الترجمة أن تنقل الكتب عن اللغة الأصلية التى كتبت بها ، لأنها إذا نقلت عن لغة ثانية كان ذلك باعثاً على غموض الأفكار وابتعادها عن الضبط . دع أن المترجمين لا يحسنون الاختيار دائما ، فيترجمون ما يصل إليهم من الكتب على غير هدى ، من غير أن يكون لها قيمة حقيقية . مثال ذلك أن بعض قراء العربية كانوا إلى عهد قريب يظنون أن (غوستاف لوبون) هو أعظم فلاسفة الغرب . والسبب فى ذلك يرجع إلى أن بعض الأساتذة نقل كتبه إلى اللغة العربية . لاشك فى أن (غوستاف لوبون) قد شارك فى علوم كثيرة ، إلا أنه لم يتعمق فى أى علم من العلوم تعمق رجال الاختصاص . فهو قد كتب فى علم الاجتماع ، ولكنه لم يكن عالما اجتماعياً كدوركهايم ولفى برل ، وقد كتب فى نظريات الفيزياء ، ولكنه لم يكن عالما فيزيائيا كجان بران ، وطومسون ، وكتب فى التربية والأخلاق ، ولكنه لم يبلغ فى ذلك ما بلغه (جيمس) و (دوى) و (كلاباريد) . فمن الضرورى إذن أن يوضع برنامج خاص لترجمة أمهات الكتب خلال مدة محدودة من الزمان ، تتولى اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية الإشراف عليه ، ثم توزع العمل على الاختصاصين فى مختلف الدول العربية لتنفيذه وإنجازه .

وينبغى لنا فى الوقت نفسه العمل على وضع دراسات علمية عن اتجاهات الفكر الغربى ، وتحليل آراء الفلاسفة الغربيين ونقدها ، ثم المقارنة بينها وبين بعض الآراء التى نجدها عند فلاسفتنا القدماء .

وقد يقال إن فى العالم الغربى أنواعاً من الفلسفة لا تأتلف وعبقرية الأمة العربية ، وإن نقل هذه المذاهب إلى لغتنا قد يؤدى إلى استهواء الكثير من الناس ، وإدخال الفوضى على العقائد الموروثة ، فنقول رداً على ذلك إن نقل هذه المذاهب لا يؤدى بالضرورة إلى اتباعها . ففى الفلسفة الغربية مذاهب روحانية ومذاهب مادية ، كما أن فيها مذاهب خيالية ومذاهب وجودية . وهى تتهافت ويهدم بعضها بعضا ، كما تتساند وتتعاون . فإذا ترجمت كلها معاً استطاع القارئ العربى أن يقارن بينها ، وأن يكون لنفسه بعد ذلك رأياً شخصياً . وربما كان لنقل هذه المذاهب المختلفة أثر عميق فى تربية حرية الفكر . لقد تعود مفكرونا أن يقيدوا آراءهم الفلسفية بالعقائد الموروثة والتقاليد الاجتماعية المعروفة ، وإذا خرجوا على هذه التقاليد أثاروا حولهم موجة من السخط والاستنكار ، إن الإبداع الفلسفى شبيه بالإبداع الفنى . لا ينمو إلا حيث تزداد حرية الفكر . ومتى خضع للقيود الاجتماعية والسياسية انقلب إلى

تقليد محض واتباع آلى . أضف إلى ذلك أن الفلسفة الغربية ليست مضادة لعبقريتنا ، فهى قد تولدت من الفلسفة اليونانية كفلسفتنا القديمة ، كما أن فلسفتنا القديمة قد أثرت فى التفكير الغربى نفسه . إن القديس (توما الأماكوينى) و (روجيه باكون) و (غيوم دوفرينى) قد أخذوا كثيرا عن ابن سينا وابن رشد ، حتى إن إعجاب (غيوم دوفرين) بهما كان لا يقل عن إعجابه بأرسطو . فليس بيننا وبين الغربيين فى هـذه الناحية إلا فرق واحد ، وهو أن الفلسفة الغربية قد اضمحلت من العالم العربى إلا قليلا من رسومها نجدها فى تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء الدين ، أما الغرب فقد عرف الفلسفة اليونانيـة أولا عن طريق الفلسفة العربية ، ثم عرفها ثانيا بصورة مباشرة ، وبقيت الفلسفة هنـاك نافقة الأسواق متجددة الرسوم حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن من الإبداع والـكمال . فليس فى الفلسفة الأوربية إذن ما يخالف عبقرية الشعب العربى وميوله . بل إن تكامل الفـكر العربى يقتضى اقتباس الفلسفة الأوربية وربطها بالأصول اليونانية القديمة التى حفظناها . ومتى تم لنا هذا الاقتباس استطعنا أن نجدد تفكيرنا وأن نبدع لأنفسنا فلسفة عربية حديثة .

وقصارى القول أنه ينبغى أن يكون موقفنا إزاء الفلسفة الغربية ، كما كان موقف أجدادنا إزاء الفلسفة اليونانية . وهو موقف إيجابى يدعو إلى ترجمة الفلسفة الغربية ونقلها والأخذ بكثير من مسائلها ، ثم تأليف عناصرها فى قوالب عربية ، مستوحاة من ماضى الأمة وحاضرها .

٤ — موقفنا إزاء الفلسفة بصورة عامة

لابد أن نشير فى آخر هذا المقال إلى أنه ينبغى لنا فى كل ذلك أن نتجنب التقليد المحض . إن مجلاتنا الشهرية طافحة بالمقالات الفلسفية ، كما أن دور النشر تصدر فى كل شهر كتابا فلسفياً موضوعا أو مترجما . إلا أن هذه الزيادة فى الإنتاج لا تدل على إنتاج حقيقى وإنما هى زيادة وهمية مبنية على التقليد المحض . لقد أصبح البحث فى الأمور الفلسفية عندنا زياً من الأزياء لا أكثر ولا أقل . وقلما وجدت كاتبا لم يكن له فى هذا الحقل باب واسع وهـذه الظاهرة تدل على أن القارئ العربى يرغب اليوم فى مطالعة المواضيع الفلسفية بالرغم من اضمحلال الفلسفة العربية وزوال رسومها من ربوعنا . ولـكن معالجة هـذه المواضيع لا تتعدى الآن طور التقليد الأعمى . إننا نقلد الغربيين فى كل شىء ، نقلدهم فى الأزياء كما نقلدهم فى الأفكار والعواطف . نعم قد يكون التقليد ضروريا فى المرحلة الأولى من حياة

الفكر . إلا أنه إذا طال أفقد الفكر روعته وعبقريته . فإذا شئنا أن تكون لنا فلسفة عربية مستمدة من الفلسفة العربية القديمة والفلسفة الغربية الحديثة معاً وجب علينا أولا أن نتجنب التقليد الأعمى ، وأن نسمو إلى يفاع الاستبصار والإبداع ، وهذا لا يمنع من أن يكون فى فى العالم العربى فلاسفة مقلدون يذهبون إلى ما ذهب إليه ابن رشد فى وحدة العقل ، أو يقولون بما قال به ابن خلدون من إبطال علم مابعد الطبيعة ، أو يعتنقون مذهب (كانت) أو (أغوست كومت) أو (سبنسر) فى نظرية المعرفة ، إلا أنه ينبغى أن يوجد إلى جانب هؤلاء التابعين فلاسفة آخرون مبدعون يقتبسون العناصر من هنا وهناك ويصوغونها فى قوالب جديدة . والشرط اللازم لهذا الابداع هو فى نظرنا فك الفلسفة من عقالها وإطلاق حريتها وتجريدها من القيود التقليدية والضغط الاجتماعى . وليس فى حرية التفلسف أى خطر على الدين ، لأن الإيمان أقوى من أن يتصدع بمعاول العقل . لا بل قد يكون فى هفوات العقل تأييد له ورجوع إليه . وما الفلاسفة إلا شعراء يصوغون مادة العلم فى قوالب العقل ، كما ينسج الشعراء من صور الطبيعة رموزاً ومجازات ، فاذا نظرنا إلى الفلسفة هذه النظرة الفنية ، أمكننا أن نحلها دار الأمان ، وأن نتغاضى عن المتفلسفين كما نتغاضى اليوم عن الشعراء .

جميل صليبا